

أساليب نبوية في معالجة التصرفات المخالفة - دراسة نماذج -

Prophetic methods to deal with the violating actions

د/ جنان صالح لخضر

Lakhder Jenane Salah

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الجزائر 1 - بن يوسف بن خدة

djenan-salah@univ-alger.dz

د/ محمد سمير مولى¹

Mohamed Samir Moula

bachen26@gmail.com

تاريخ القبول: 2025/07/02

تاريخ الإرسال: 2025/03/19

الملخص:

يحاول هذا البحث دراسة الأساليب والمناهج التي استخدمها الرسول ﷺ في معالجة الأخطاء المخالفة لسنته، ويكون عن طريق جمع الأخبار والمرويات التي سجلت أساليب النبي ﷺ في تصحيح وتصويب التصرفات المخالفة التي وقع فيها بعض الصحابة اجتهداً منهم أو سهواً، ثم يقوم باستقراء وتحليل ردود النبي ﷺ وانفعالاته تجاه تلك الحالات، من حيث التنبيه بالوعظ والتعليم، أو الإنكار باللين والرفق، أو بالتشديد والتوبيخ، بحسب الحالات والظروف.
الكلمات المفتاحية: نبوية؛ أساليب؛ معالجة؛ مخالفة؛ تصرف.

Abstract:

This research attempts to study and extrapolate the methods and approaches used by the prophet (PBUH) In addressing errors that violate his Sunnah, and It is done by collecting news and narratives that recorded the methods of the prophet (PBUH) In correcting and rectifying the wrongful actions that some of the Companions committed, whether through their own efforts or inadvertently, Then the research deduces and analyzes the responses and reactions Towards those cases, In terms of warning through preaching and teaching, or denouncing through gentleness and kindness, or through severity and rebuke, according to the cases and circumstances.

Keywords: Prophetic; Methods; to treat; action; violating.

¹ - المرسل المؤلف.

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

لقد بعث الله نبيّنا محمداً ﷺ هادياً ومبشراً وداعياً إلى الله، فهو إمام المصلحين، وسيدّ المرّبين، ومعلم البشرية أجمعين، يرشد إلى أحسن الأخلاق وأقومها، فمثله كمثل قصر شيدّ بناؤه إلا موضع لبنة، فهو من يسدّ تلك اللبنة، فيصبح النبيان متكاملًا..

ولقد مرّ الصّحابة مع الرسول ﷺ بظروف كثيرة ومواقف مثيرة، فكانت هناك ظروف حرب وظروف سلم، وكانت أيام غنى وأيام فقر، وكانت فترات قوّة وفترات ضعف، فمن العادي أن يجتهد بعض الصّحابة -ومنهم حديثو عهد بالإسلام- في تأويل بعض أوامر النبي ﷺ فيجانبوا الصواب، ومن العادي أن يخطئ بعضهم ويذنب كما يخطئ كلّ النّاس.

ومن هدي النبي ﷺ تقويم السلوكيات والتصرفات بطرق نبوية فريدة، فقد كان يدفع بالصّحابة إلى التمسك بالكمّار والمحاسن، عن أبي هريرة، أنّه ﷺ قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»⁽¹⁾.

ولقد كان النبي ﷺ رفيقاً سمحاً، لئلاّ الجانب بمن يخطئ، وهذا هو أساس المنهج التعليمي الذي تعامل به في حياته، إلاّ في حالات تستدعي بعض الحكمة في التعامل مع بعض المخطئين والمخالفين لهديه ﷺ في مسائل وآراء، فبصفته المعلم المرّبي الذي أحاط بجوانب نفسية المتعلّم، فقد كانت له أساليب متنوعة في الإنكار على المخطئين، وفي تقويم سلوكياتهم، تختلف بحسب حالاتهم وظروفهم التي كانوا فيها، فكان ﷺ يشدّد على بعضهم، ويؤخّر البعض، كما يلين ويتلطّف مع آخرين، وسنعرّض هذه الأساليب النبوية في معالجة الأخطاء والمخالفات، ودفع الناس إلى التّرقّي في صفات الكمال.

الإشكالية:

ما أبرز معالم المنهج النبوي التربوي في معالجة النبي ﷺ للأخطاء والتصرفات المخالفة؟ ويندرج تحتها أسئلة فرعية وهي: هل أساليب النبي ﷺ في تصحيح أخطاء المسلمين واحدة؟ أو تنوعت طرقه وأساليبه؟ كيف تعامل النبي ﷺ مع من خالفه في بعض أوامره؟ هل كان تعامله بالموعظة والرفق؟ أو بالتأديب والشدة؟

الدراسات السابقة:

1- بحث كبير بعنوان: "المنهج النبوي في معاملة المخطئين وتصحيح أخطائهم"، عادل عبد المنعم أبو سريع، جامعة قطر، قسم بحثه إلى ثلاثة فصول: الفصل الأول: أنواع الخطأ، الفصل الثاني: المنهج النبوي في التعامل مع الخطأ، وفيه المبحث الأول: الهدي النبوي في تصحيح الخطأ بالقول، وفي المبحث الثاني في تصحيح الخطأ بالفعل.

والفصل الثالث: المنهج النبوي في التعامل مع المخطئ، وفيه مبحثان: الأول في إعطاء حقوق المخطئ، والثاني في الحوار والمناظرة في توجيه المخالف. وكلّ البحث يدور حول معالجة الأخطاء المتعمدة وغير المتعمدة.

2- مقال بعنوان: "المنهج التربوي في معالجة مواقف من أخطاء الفرد في المجتمع المدني من خلال كتاب السيرة النبوي لابن هشام"، إعداد: أحمد بن إسماعيل بن عبد الباري كتيبي، مقال العدد 222 سنة 2007 وفيه أساليب كثيرة استخدمها الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء، قسّمه الباحث إلى فصول، يعنينا الفصل الرابع منه والذي تطرق من خلاله إلى: معالجة النبي ﷺ للأخطاء، وفرّعه على مباحث، ويعنينا منها المبحث الأول الذي خصّصه في معالجة الأخطاء والسلوكيات، وفيه فروع كثيرة مثل معالجة

الموقف بإقامة الحجة، معالجة الموقف بالصبر والحلم، المعالجة بتصغير الموقف، المعالجة بالمبادرة وتغيير المكان، المعالجة بالصمت والسكوت عن الفعل، المعالجة بالعقوبة بناء على حال الشخص وسيرته..

3- مقال بعنوان: "مناهج النبي ﷺ في التعامل مع المخطئ-دراسة تحليلية-"، محمد فخرول إسلام، وسعد الدين منصور محمد، مجلة القناطر، ماليزيا سنة 2020م، وهو بحث وصفي تحليلي قام الباحثان من خلاله بجمع الأحاديث التي تشتمل على مناهج الرسول ﷺ في معالجة أخطاء الناس، وتقريعه على شكل أساليب تربوية تعليمية في الإرشاد، والتوجيه، والحوار، بدءًا بتعليمه لغلام صغير بالتسمية قبل الأكل، ومرورا على كل توجيه قدّمه الرسول ﷺ للصحابّة، من تقويم سلوك، تعليمه حكمة نبوية، نهيه عن خطأ عملي أو لفظي، وحتى في تعليمه غلاما صغيرا في كيفية سلخ الشاة، فهو بحث كامل يضم كلّ الأساليب في معالجة أخطاء الآخرين وتعليمهم ولكلّ الطبقات: الزوجة في البيت، أخطاء الشباب، أخطاء الفرد، أخطاء المجتمع، أخطاء المصلين، أخطاء المجاهدين..

4- الهدي النبوي في تصحيح الأخطاء/ مقال في موقع إسلام ويب وغيرها.
جديد البحث مقارنة بالدراسات السابقة:

لقد تنوّعت الكتابات والمقالات في استقراء ومعرفة أساليب النبي ﷺ في تصحيح أخطاء المسلمين وتصويب سلوكياتهم بكلّ طبقاتهم، وفي كلّ جوانبهم في الحياة؛ سواء في العبادات، أو في العادات، فكانت البحوث جامعةً شاملةً لأساليب تربوية تعليمية في تقويم أخطاء المصلّين، أخطاء الصائمين، أخطاء الأسرة في البيت، أخطاء الصبيان، أخطاء الشباب والمراهقين، توجيهات نبوية في الأكل والشرب، وفي الأذكار وغيرها، وفي أغلب الحالات يكون المخطئ جاهلا بخطئه، ولكن الجديد في هذا المقال هو التحليل الوصفي للمنهج النبوي في معالجة التصرفات الخاطئة التي صدرت من بعض الصحابة مع علمهم بالمنهي عنه، يعني من الناحية السلوكية، من حيث مخالفتهم للنبي ﷺ وعدم التزامهم بأوامره، بعضهم سهواً، وبعضهم اجتهداً دون قصد، ثم استقراء ودراسة ردود النبي ﷺ وأساليبه في معالجة ما صدر منهم من أقوال وأفعال مخالفة، مع التفرقة بين أسلوب الإنكار والعتاب بالشدة، وبين أسلوب الإنكار باللين واللطف، وبين أسلوب التعليم والتذكير والوعظ.

وذلك مع الاختصار في سرد الآثار والروايات، وعدم الإكثار من التعليق أو إطالة الشرح إلا بما يخدم الشاهد من الحديث.

وليس في هذا المقال شيء من تقليد الدراسات السابقة أو تكرار ما فيها، إلا تشابه يسير في بعض الأحاديث والشواهد المستدل بها، حيث عبّر عن خلالها كلّ باحث بأسلوبه وذكره في سياق خاص مغاير، وبالتالي فهو عمل جديد كان في الأساس جزءاً من أطروحة الدكتوراه التي أعدتها، والتي أرجو الوصول إلى المناقشة إذا ما تم التحكيم على المقال.

المنهج المتبع في البحث:

لقد استخدمت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي؛ أقوم بجمع الأخبار النبوية والحوادث من السنن والسيرة، ثم التحليل مع الإيضاح والبيان. وكذلك المنهج الاستقرائي في تتبع أغلب الروايات النبوية واستخراج الأسلوب النبوي في معالجة المخالفات والأخطاء.

المنهجية المتبعة:

- ترتيب المصادر والمراجع في الحاشية حسب الأقدم فالأقدم في الوفاة، إلا ما كان في الكتب الحديثية كالكتب السنّة فعلى حسب قوة شرط صاحب الكتاب.
- ذكرت معلومات الكتاب كاملة في فهرس المصادر والمراجع، ولم أذكرها عند أول ذكر للكتاب خشية أن تطول الهوامش.
- لا أترجم للأعلام المشهورة الواردة في النص، خاصة من تدور عليهم الأسانيد في الإقراء.

خطة البحث:

لقد قسّمت هذا المقال إلى ثلاثة مباحث عامة، وكل مبحث سيقسم إلى مطالب.

المبحث الأول: منهج اللطف والرفق في الإنكار على المخطئ

المطلب الأول: بيان الخطأ من غير مواجهة صاحبه بالإنكار.

المطلب الثاني: بيان الخطأ بمواجهة المخطئ بالتي هي أحسن.

المطلب الثالث: الرفق واللين في التصح وتبيين الخطأ

المبحث الثاني: المنهج التعليمي الوعظي

المطلب الأول: تعليم النبي ووعظه بالتلميح دون التصريح.

المطلب الثاني: التعليم والوعظ بالتصريح والبيان

المبحث الثالث: منهج الشدة والزجر

المطلب الأول: الشدة في العقوبة من غير تعنيف لسانی ولا جسدي.

المطلب الثاني: الشدة في العقوبة بالتعنيف اللسانی

المطلب الثالث: الشدة في العقوبة باليد.

توطئة:

الأساليب: الأسلوب هو النهج، الطريق المستوي⁽²⁾.

واصطلاحاً: هو وسيلة، وطريقة الوصول إلى المطلوب⁽³⁾. وغالباً ما تستعمل هذه العبارة في البلاغة. والأسلوب في التعامل هو طريقة الدّاعي في دعوته، أو كيفية تطبيق المنهج الدعوي، وهو: فن العرض والتأثير والإقناع.

معالجة: عالج الشيء وعالجه زاوله، المُعالج: المداوي⁽⁴⁾.

اصطلاحاً: عالج القضايا بحنكة ودراية: تعامل معها، زاولها، مارسها. يعالج الموضوع أي: يعالج الأمور. والمعالجة في هذا البحث هي: الإصلاح⁽⁵⁾ معالجة التصرفات أي إصلاحها.

التصّرف لغة: التقلّب في الأمور والسعي في طلب الكسب، يقال: صرف الشيء: إذا أعمله في غير وجه كأنه يصرفه عن وجه إلى وجه، ومنه التصّرف في الأمور.

وفي الاصطلاح: ما يصدر عن الشخص بإرادته، ويرتب الشرع عليه أحكاماً مختلفة⁽⁶⁾.

تصرّف الشخص سلوكاً معيّناً، يحسن التصّرف، أي يحسن الاختيار⁽⁷⁾.

التصرفات المخالفة: المخالفة لغة: خالف واختلف مصدر إختلاف، إختلف معه في الرأي: عاكسه، عارضه فيه، أي أتى برأيٍ مُخالفٍ، جعل الواحد ضدّ الآخر، تخالف الرأيان: تضاداً ولم يتوافقا⁽⁸⁾.

تخالف الأمران واختلفا وكلّ ما لم يتساو فقد اختلف، والمخالف لما أمر به⁽⁹⁾.

والمقصود بالتصرفات المخالفة؛ هي ما يصدر من أفعال خاطئة مخالفة للهدى النبوي، مع علم صاحبها بحرمتها والنهي عنها.

ومعالجة التصرفات المخالفة في هذا البحث: يقصد بها تقويم المخطئ المخالف للأوامر النبوية، ويكون بأساليب متنوعة؛ عن طريق إرشاده إلى الصواب، أو الاكتفاء بالنهي عن الخطأ، أو التلميح عليه، أو بمعاقبته باللسان أو باليد، يختلف باختلاف الأشخاص، وأحوالهم.

المبحث الأول: منهج اللطف والرفق في الإنكار

إن الرفق واللين والسماحة هي صفات المنهج النبوي التعليمي الذي تعامل به الرسول ﷺ في حياته مع كل الناس، فلم يكن ليتسرع في حكمه على شخص معين حتى يثبت، وكان ينزل الصحابة الكرام منازلهم، ويعترف بمناقبتهم وفضائلهم، ويقدر اجتهاداتهم إذا خالفوا الصواب، ويراعي أحوالهم وظروفهم، وسنذكر بعض الأساليب في ذلك:

المطلب الأول: بيان الخطأ من غير مواجهة صاحبه بالإنكار

لقد عالج الرسول ﷺ أخطاء ومخالفات بعض أعز أصحابه باللين والرفق وعدم التشدد، للمكانة التي له عندهم، ولفضلهم ومناقبتهم، وهذا أسلوب راقٍ في منتهى الحكمة، فقد كان يكتفي بتصويب خطأ البعض ممن لم يُعهد عليه تكرار ذلك الخطأ، وكان ﷺ يلمح أحياناً على الفعل بمجانبته للصواب دون ذكره، أو ذكر فاعله، وكان ﷺ يتفهم الدافع الذي أدى بالخطأ ويعذر صاحبه، وكان ﷺ يراعي الأحوال والأشخاص، وفي كل حالة تكون النتيجة إيجابية.

الفرع الأول: العفو عن صاحب الماضي الحسن مهما كان الخطأ كبيراً

من تمام رحمة النبي ﷺ وعدله وعظم أخلاقه ﷺ أنه لا ينظر إلى الخطأ أو الذنب بمعزل عن صاحبه، وبذله، وسابقتها في الإسلام، بل ينظر إلى حسناته، وهل له من الأشياء التي تشفع له، هذا مع التماس العذر، واستكشاف سبب المخالفة التي وقعت منه.

مثل ما وقع لحاطب بن أبي بلتعة، وهو ممن هاجر من مكة وشهد بدرًا، فقد ورد أن النبي ﷺ لما عزم على فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، وأسر الأمر؛ أرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش كتاباً، بعثه مع امرأة، فخبأته في صفائر شعر رأسها، ثم خرجت به، فأخبر الوحي النبي ﷺ، فبعث علياً والزبير، ليحضرا الكتاب، فلما جاء به إلى النبي ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم.

فلم يعجل النبي ﷺ بالحكم عليه، بل تأتى حتى يسأله فقال: «يَا حَاطِبُ ما حملك على ما صنعت؟» قال حاطب: "والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله، أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله"، فقال النبي ﷺ: «صدق ولا تقولوا له إلا خيراً»، فاستأذنه عمر أن يضرب عنقه، فقال ﷺ: «إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرًا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»⁽¹⁰⁾.

والحقيقة أن حاطباً بن أبي بلتعة رضي الله عنه أخطأ خطأ فادحاً بمحاولة كشف سر رسول الله ﷺ لمشركي قريش، وهو ما يسمى في اصطلاح العصر بالخيانة العظمى، ولكنه لم يرتكب هذا الخطأ لكونه من المنافقين، بل هي لحظة ضعف خاف فيها على أسرته وهذا لا يبزر صنيعه، ولذلك عفا عنه الرسول ﷺ وتجاوز عن خطئه؛ لسابق تاريخه في الإسلام، بل وأمر الصحابة أن يذكروا الرجل بأفضل ما فيه،

يقول الغزالي رحمه الله: "وبهذا التقدير السّمح علّمنا الإسلام ألا ننسى الحسنات والفضائل لمن يخطئون حيناً بعد أن أصابوا طويلاً"⁽¹¹⁾.

الفرع الثاني: الإنكار بالمحبة وحفظ مكانة المخطئ

عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهم - أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ حُجَّاجًا، فنزلوا بالعِزَج⁽¹²⁾، ينتظرون غلامَ أبي بكر كانت معه زمالته⁽¹³⁾ وزمالة رسول الله ﷺ، فطلع الغلام، وليس معه بغيره، فقال أبو بكر: أين بغيرك؟ قال: أضلته البارحة، فقال أبو بكر: بغير واحد تضله، فطفق يضربه ورسول الله ﷺ يتبسّم، ويقول: «انظروا إلى هذا المُحرّم وما يصنّع»⁽¹⁴⁾.

قال ابن كثير: "يستفاد من قول النبي ﷺ عن أبي بكر: «انظروا إلى هذا المُحرّم وما يصنّع» كهيئة الإنكار اللطيف - أنّ الأولى ترك ذلك، والله أعلم" اهـ⁽¹⁵⁾.

ومع أنّ ضرب الغلام خطأ حصل من أبي بكر ﷺ ومخالف لأوامر النبي بالرفق وعدم المسارعة إلى العقاب، لكنّ الغلام قد فعل ما يوجب الرّجر، وأبو بكر لم يكن من عادته ضرب الغلمان؛ لذلك أنكر عليه النبي ﷺ إنكاراً لطيفاً يليق بمقامه رضي الله عنه.

ونذكر موقفاً آخر وقع في السنة السادسة للهجرة في صلح الحديبية، عندما وقع الاتفاق مع مشركي قريش على عدم دخول المسلمين مكة المكرمة للعمرة حتّى العام القابل، حينها رجع الرسول ﷺ إلى معسكره وقد جاء ملئاً من ذي الحليفة، فقرّر ﷺ أن يقوم بالنّحر والحلق بالحديبية؛ ليتحلّل من إحرامه.

وأمر الرسول ﷺ الصّحابة فقال: «قوموا فانحروا ثمّ احلقوا»، وهذا أمر مباشر وواضح، لكن ردّ الفعل كان غريباً جداً، يقول راوي القصة المسور بن مخرمة ﷺ: فوالله ما قام منهم رجل، ثمّ كرّر الرسول ﷺ الأمر مرّة ثانية وثالثة؛ فلم يقم منهم أحد، وهم أكابر الصحابة وأسوة الخلق وأفاضلهم، فكان الرسول ﷺ في هذا الموقف يقدر الحالة النفسية التي عليها أفاضل الصحابة، فهم مع تفانيهم في طاعة الرسول ﷺ، إلّا أنّهم في هذا الموقف لم يستطيعوا القيام بالنّحر والحلق، لأنّه تحلّل من العمرة وتنازل عن حقّهم، وقد كان لديهم أمل لا يوصف في دخول مكة المكرمة لأداء العمرة، ولذلك لم تكن لديهم القدرة على تنفيذ هذا الأمر بالذات، ومما زاد حجم المأساة عندهم؛ هو الاتفاق على عدم إيواء من أسلم من مكة حديثاً.

ونجد الرسول ﷺ قد شعر بما في نفوس الصّحابة وتفهم الوضع، وليس معناه أنّه عذّرهم وأقرهم على امتناعهم الخاطئ المخالف، ولكنّه ﷺ تعامل مع الموقف بمنتهى الحكمة، فقد دخل ﷺ إلى خيمته وهو حزين جداً ولم يعنّف الصحابة لأنّه يقدر ما بهم من أزمة.

فأشارت عليه زوجته أمّ سلمة رضي الله عنها - أن يخرج دون أن يكلم أحداً، ثم ينحر بدنه، ويدعو حالقه، ففعل، فلمّا رأوا ذلك قاموا، فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتّى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً⁽¹⁶⁾.

الفرع الثالث: مراعاة النبي ﷺ لمن خالف ظاهر أمره بدافع الاجتهاد

لقد حصل خلاف بين الصّحابة عند سيرهم إلى بني قريظة، ففي الصحيحين أنّه لما رجع عليه الصلاة والسلام من غزوة الأحزاب وجاءه جبريل وأشار إليه أن يخرج إلى بني قريظة ليغزوها، فندب النبي ﷺ، أصحابه فقال: «لا يصلّين أحد منكم العصر إلّا في بني قريظة». فخرجوا من المدينة إلى بني قريظة وأدركتهم صلاة العصر فمنهم من أخرها حتّى وصل إلى بني قريظة بعد خروج الوقت تنفيذاً لأمر النبي، وقالوا: - كما في صحيح ابن حبان: - "لا نصلي إلّا حيث أمرنا رسول الله ﷺ، وإن فاتنا الوقت"، ومنهم من صلى الصلّة في وقتها، وقال: "بل نصلي، لم يرد منا ذلك"، أي أنّ الرسول ﷺ، أراد منا

المبادرة إلى الخروج ولم يرد منّا أن نؤخر الصلاة عن وقتها، ولما ذكر ذلك للنبي ﷺ لم يعتف أحدا من الطائفتين بسبب اختلافهم في فهم هذا النص⁽¹⁷⁾.

فلقد راعى النبي ﷺ الموقف، وتفهم حال الفريقين، حيث اجتهد الفريق الأول بطاعة أمره ولو بتأخير الصلاة عن وقتها، كما اجتهد الفريق الآخر بتأول كلام النبي ﷺ على المسارعة في الخروج، فجمعوا بين الإسراع وأداء الصلاة في الوقت عملاً بالشرع وحفاظاً على وقتها.

الفرع الرابع: مراعاة النبي ﷺ للطبيعة البشرية التي نشأ عنها الخطأ

هناك بعض الأخطاء لا يمكن إزالتها بالكلية بسبب ما يتعلّق بأصل الخلقة؛ وللمثال نذكر قصة عائشة رضي الله عنها لما غضبت فأعرض النبي ﷺ وتجاوز الموقف بلطف وبشاشة، فعن أنس؛ أنّ النبي ﷺ كان عند بيت عائشة رضي الله عنها- وكان معه بعض أصحابه، فأرسلت أم سلمة- رضي الله عنها- بصحفة فيها طعام، فضربت عائشة يد الخادم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجعل النبي ﷺ يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: «غارَت أمكم» ثم أرسل مع الخادم صحفة من عند بيت عائشة، فدفعها إلى أم سلمة...⁽¹⁸⁾.

لقد عالَجَ النبي ﷺ الموقف بالبشاشة والمزاح، بعيداً عن الانفعالات والهيجان، فلم يؤاخذ عائشة بما صدر منها؛ لأنّ الغيرة في تلك الحالة يكون عقلها مخجوباً بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة؛ بل التمس لها العذر، وأشار بقوله: (غارَت أمكم) إلى أصحابه، ألا يؤثّر هذا الموقف في قدرها عندهم، والله أعلم.

وهناك مشهد مشابه وقع في غزوة حنين؛ حيث أصاب المسلمون غنائم كثيرة، فقسمها النبي ﷺ بالجعرانة، فأعطى المهاجرين والطلقاء وحديث عهد بالإسلام تأليفاً لقلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئاً، فكانّ الأنصار وجدوا في أنفسهم إذ لم يصيبهم من الغنائم ما أصاب الناس، فبلغ النبي ﷺ ذلك فجمعهم في قبة، ثم خاطبهم قائلاً: «يا معشر الأنصار، ما حديث بلغني عنكم» فسكتوا، فقال: «يا معشر الأنصار، ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا، وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى بيوتكم» قالوا: بلى، فقال النبي ﷺ: «لو سلك الناس وادياً، وسلكت الأنصار شعباً، لأخذت شعب الأنصار». وهذه طبيعة بشرية، وشعور يحسّ به كلّ من وقف موقفهم، حتّى إنّ بعض الأنصار قالوا: "إذا كانت شديدة (أي: قضية الحرب) فنحن ندعى (أي: نستجيب للقتال)، ويعطى الغنيمة غيرنا"⁽¹⁹⁾، وقد بيّن لهم أنّ تأليف القلوب وخشية نفور حديثي عهد بالإسلام كان السبب في ذلك التقسيم، قال: «إني لأعطي الرجل وغيره أحبّ إليّ منه خشية أن يكبّ في النار على وجهه»⁽²⁰⁾. فالنبي ﷺ مدركٌ تماماً سبب تعجّبهم من كيفية توزيعه للغنائم، ولذلك عالَجَ الموقف، وبيّن لهم غرضه من ذلك التقسيم من خلال تلك الموعظة العظيمة.

وموقف آخر:

كان الأعراب يدخلون على النبي ﷺ في مجلسه، ويقطعوا حديثه ليسألوه من غير أدب، ومع ذلك لم يعتفهم النبي ﷺ على جفائهم ولا مبالاتهم، ولم يوبّخهم على قطعهم لحديثه بل رفق بهم، وقضى حوائجهم بعد ذلك.

ومن الأمثلة نذكر قصة ذلك الأعرابي الذي أراد أن يطلب المال من الرسول ﷺ، فحبذ طرف رداء النبي ﷺ من خلفه بكلّ ما أوتي من شدة وقسوة، حتّى أذاه في رقبتة، فعن أنس رضي الله عنه قال: "كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُرد نجراني⁽²¹⁾ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فحبذه بردائه جبدة شديدة [عند مسلم: فرجع نبي الله ﷺ في نحر الأعرابي]، حتّى نظرت إلى صفحة عاتق⁽²²⁾ رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية

البرد من شدة جيبته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بعتاء⁽²³⁾.

والمثير للدهشة؛ رد فعل نبينا ﷺ؛ سمئ وخلق فوق ضوابط الانضباط، فلم يعاقب الرجل بل ضحك في غير موقف الضحك، لأنه لو غضب وتغيظ فقد يقوم أحد الصحابة ويضرب هذا الإنسان، فلذلك ضحك ليهذا المسلمون الموجودون كلهم فيسكتون، ويظنون أن النبي ﷺ يعرفه، فلذلك سكتوا⁽²⁴⁾، ثم ختمها بعتاء. قال العيني: "وهكذا ينتهي المشهد بكل هدوء ورحابة صدر ورحمة بالآخرين، مما يدل على غاية جوده وكرمه ﷺ ونهاية صبره وحلمه على الأذى في النفس والمال والتجاوز عن جفاء من يريد تألفه على الإسلام"⁽²⁵⁾.

والأمثلة كثيرة في صبر النبي ﷺ على جفاء الأعراب وحلمه معهم وإحسانه وعفوه حتى مع من حاول قتله.

المطلب الثاني: بيان الخطأ بمواجهة المخالف المخطئ بالتي هي أحسن

ويشتمل على أساليب طابعها الهمة في إصلاح الخطأ بالرفق والحكمة، ويكون بالاكتفاء بتبيين الخطأ دون التعرض للمخطئ المخالف، ودون ذكر الفعل، وهي كالاتي:

الفرع الأول: الإنكار بالمزاح مع الاعتناء بإصلاح الخطأ

وفيه قصة ذلك الصحابي الشاب الذي كان يحب مجالسة النساء واسمه خوات بن جبير، وقد روى قصته وكيف نزل مع رسول الله ﷺ في مر الظهران، فخرج من خبائه فوجد نسوة يتحدثن، فأعجبته، فلبس حلة ثم جلس معهن، وخرج رسول الله ﷺ من قُبته فسأله: «.. ما يجلسك معهن؟»، فتحرّج وقال: يا رسول الله جمل لي شرد، فأنا أبتغي له قيدا فمضى واتبعته.. ثم ارتحلا فجعل النبي ﷺ يقول له مازحاً: «أبا عبد الله ما فعل شِراؤَ جَمَلِكَ؟» ويكرّرها كلّ مرّة، ولما وصلا إلى المدينة، ذهب خوات إلى المسجد، فوجده الرسول ﷺ يصليّ ويطيل صلاته، فقال له النبي ﷺ: «طَوّل أبا عبد الله ما شئت أن تطوّل فلست قائماً حتى تتصرف»، فعزم أن يعتذر إلى رسول الله ﷺ فقال له النبي ﷺ: «السلام عليك أبا عبد الله ما فعل شِراؤَ ذلك الجمل؟» فقال خوات: والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمتُ، فقال: «رحمك الله» ثلاثاً ثم لم يعد لشيء مما كان⁽²⁶⁾.

والمستفاد من تعامل النبي ﷺ مع هذا المخطئ، الذي برّر خطأه بعذر غير صحيح؛ هو إرشاده بلطف بطريقة المزاح معه، مع مراعاة ضعف دينه فلم يُعَنّف عليه، بل وجعل يلاحقه ويكرّر عليه إنكاره لما صنع، وكانت النتيجة أن انقاد ذلك الفتى تماماً وندم على ما صدر منه.

الفرع الثاني: التعريض على المذنب بالتستر على نفسه

فقد جاء غير واحد إلى النبي ﷺ طالبين منه أن يُقيم عليهم الحدّ بسبب ما اقترفوه من الذنوب، فكان النبي ﷺ يُحاول صرفهم في أوّل الأمر، والإشارة عليهم بالتوبة والتستر على أنفسهم وعدم فضحها، ولو تطلّب الأمر إلى تكرار نصيحته ﷺ، فإذا وجد منهم الإصرار؛ أقام عليهم الحدّ، ومن ذلك:

قصة الصحابي ماعز بن مالك⁽²⁷⁾؛ الذي جاء إلى النبي ﷺ فقال: "يا رسول الله، طهرني"، فقال: «ويحك، ارجع فاستغفر الله وتب إليه»، فرجع غير بعيد، ثم جاءه الثانية والثالثة ليطهره، فقال له رسول الله ﷺ: «أبِهْ جُنُونٌ؟» فأخبر أنه ليس بمجنون، فقال: «أَشْرَبَ خَمْراً؟» فلم يجد منه ريح خمر، فسأله ﷺ: «أَزْنَيْتَ؟» فلما أقرّ؛ أمر به فرجم بالحجارة، وقال فيه ﷺ: «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوْسِعَتْهُمْ»،

قال: ثم جاءت امرأة من غامد من الأزد، فقالت: "يا رسول الله، طهرني"، فقال ﷺ: «وَيُحَكِّ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ» فألحَّت عليه، ثم سألتها: «أَنْتِ؟» فأقرَّت بنعم، فأبى رجمها حتى تضع ما في بطنها، وتجد من يتكفل بولدها لإرضاعه ثم رجمها⁽²⁸⁾.

قال الحافظ ابن حجر: "نجد النبي ﷺ لم يكشف عن الحدود بل دفع مهما أمكن وهذا الرجل في بداية الأمر لم يفصح بأمر يلزمه به إقامة الحد عليه فلعله أصاب صغيرة ظنها كبيرة توجب الحد؛ فلم يكشفه النبي ﷺ عن ذلك، لأن موجب الحد لا يثبت بالاحتمال وإنما لم يستفسره إما لأن ذلك قد يدخل في التجسس المنهي عنه، وإما إثارة للستور ورأى أن في تعرضه لإقامة الحد عليه ندماً ورجوعاً، وقد استحب العلماء تلقين من أقر بموجب الحد بالرجوع عنه إما بالتعريض، وإما بأوضح منه ليدراً عنه الحد" اهـ⁽²⁹⁾.

وقال ابن العربي - رحمه الله -: "هذا كله في غير المجاهر، فأما إذا كان متظاهراً بالفاحشة، مجاهراً، فإني أحب مكاشفته به والتبريح به، لينزجر هو وغيره". وقد استشكل استحباب الستور مع ما وقع من الثناء على ماعز، والغامدية.

وأجاب الحافظ العراقي - رحمه الله تعالى - في "شرح الترمذي" بقوله: "أن الغامدية كان ظهر بها الحبل، مع كونها غير ذات زوج، فتعذر الاستتار، للاطلاع على ما يشعر بالفاحشة، ومن ثم قيد بعضهم ترجيح الاستتار حيث لا يكون هناك ما يشعر بضده، وإن وجد فالرفع إلى الإمام ليقوم عليه الحد أفضل"⁽³⁰⁾.

الفرع الثالث: الإشارة إلى ما هو أحسن للمخطئ

إن أول رجل قطع في الإسلام - أو من المسلمين - رجل أتى به للنبي ﷺ، ف قيل: يا رسول الله، إن هذا سرق "عند ابن أبي شيبه: فقال: «اقطعوه»، فكانما أسف وجه رسول الله ﷺ رماداً، فقال بعضهم: يا رسول الله، أي يقول: ما لك؟ فقال ﷺ: «وما يمنعي؟ وأنتم أعوان الشيطان على صاحبكم، والله عز وجل عفو يحب العفو، ولا ينبغي لوالي أمر أن يؤتى بحد إلا أقامه»⁽³¹⁾. يعني أشار عليهم بالعفو والصفح مع المخطئين.

الفرع الرابع: الزجر غير المباشر عن بعض التصرفات

عن أبي سعيد الخدري، قال: "كان بين خالد بن الوليد، وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبّه خالد، فقال رسول الله ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنْ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»⁽³²⁾.

وفي رواية عند أحمد عن أنس، قال: "كان بين خالد بن الوليد، وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال خالد لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها، فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي ﷺ، فقال: «دعوا لي أصحابي... الخ»⁽³³⁾.

قال الحافظ ابن حجر: "فالخطاب كان للصحابية وقد قال لو أن أحدكم أنفق..."، وهذا كقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ﴾ [الحديد:10]، وَمَعَ ذَلِكَ فَتَنْهَى بَعْضُ مَنْ أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ وَخَاطَبَهُ بِذَلِكَ عَنْ سَبِّ مَنْ سَبَّهَ⁽³⁴⁾.

المبحث الثاني: المنهج التعليمي الوعظي

يعتبر هذا المنهج النبوي الحكيم بمثابة إعطاء المخطئ فرصة لمعرفة الخطأ وتصحيحه، عن طريق التلميح بالأمر المعاب، وأحياناً عن طريق الإعراض والسكوت حتى يدرك المخطئ خطئه، وهو منهج

هادف وفعل، وجدنا الرسول ﷺ يستخدم فيه أساليب متنوعة، تتنوع حسب الأشخاص وحسب المواضع التي ارتكبوا فيها هذه الأخطاء أو المخالفات، وسنفصلها حسب ما يلي:

المطلب الأول: تعليم النبي ووعظه بالتلميح دون التصريح

لقد تعرّض المرّبي الأعظم رسول الله ﷺ، أثناء عملية معالجة بعض القضايا الحساسة إلى موقف وجد نفسه في مواجهة عاملين لابدّ منهما؛ عامل التوجيه وتقويم الخطأ الذي يستلزم عدم التأخير أو الإهمال، وعامل اجتناب كسر خاطر صاحب الفعل بالتصريح به أو بفعله مباشرة، فكان لا بدّ من التلميح عن الشيء المعيب تارة، وإعمال ذلك الشعار النبوي "ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا" تارة أخرى عندما رأى الحاجة في ذلك، وسنفصل في ما يلي:

الفرع الأول: ترك المخالف يندم ويتحلّل من فعله بالتلميح

وأوضح مثال له موقف النبي من خيانة أبي لبابة ⁽³⁵⁾، عندما توجه رسول الله إلى بني قريظة؛ يغزّوهم بعد ما خانوا عهدهم معه، وتأمروا ضده باشتراكهم مع الأحزاب في السنة الخامسة للهجرة، وحاصرهم خمسا وعشرين ليلة، ولما أيقنوا بالهلكة أرسلوا إلى الرسول ﷺ يطلبون منه أن يحقن دماءهم ويخرجون بنسائهم وذراريهم، فرفض الرسول ﷺ، فتوسّطوا له بأبي لبابة بن عبد المنذر، أحد الأوس، وكان أحد حلفائهم، فأذن له أن يذهب إليهم، فلما رأوه قاموا إليه وجهش له نساؤهم وصبيانهم بالبكاء، فرق لهم، وسألوه عن مصيرهم، فأشار بيده إلى حلقه؛ بأنّه الذبح.

وبهذه العبارة يكون أبو لبابة قد أفشى سرّ رسول الله ﷺ، ففزع لهذه الزلّة واعترف أنّه خان الله ورسوله ﷺ، وأقر بذنبه وبأدركه -دون انتظار- إلى العقوبة الذاتية التلقائية، حتّى ربط نفسه في عمود من أعمدة المسجد، وقال: "لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت".

فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، قال ﷺ: «أما إنّه لو جاءني لاستغفرت له، فأما إذ قد فعل ما فعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه»، فنزل في حقّه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 27] ففرح رسول الله وبشره بتوبة الله عليه ⁽³⁶⁾. ومثال آخر: لما اعترض أبو حذيفة بن عتبة ⁽³⁷⁾ على أمر النبي ﷺ:

فعن ابن عباس أنّ النبي ﷺ أوصى أصحابه يوم بدر بعدم قتل أناس قد خرجوا كرها، منهم بنو هاشم وأبو البختري بن هشام ⁽³⁸⁾، وعمّه العباس بن عبد المطلب، فافعل أبو حذيفة وقال: "أنقتل آبائنا وأبنائنا وإخوتنا وعشيرتنا، ونترك العباس والله لئن لقيته لأحمتّه السيف"، قال: فبلغت رسول الله ﷺ، فقال: لعمر بن الخطاب: «يا أبا حفص أضرّ وجه عمّ رسول الله بالسيف؟» فاستأذن عمر بضرب عنقه لأنّه شكّ أن يكون منافقاً. فلم يأمن أبو حذيفة من الكلمة التي قالها، حيث قال: "ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عني الشهادة".

وعندما أمر الرسول ﷺ بإلقاء جثث المشركين في القليب؛ نظر في وجه أبي حذيفة فإذا هو كئيب فقال له: «يا أبا حذيفة: لعلّك قد دخلك من شأن أبيك شيء؟»، فقال: لا، وذكر أنّه ما يشكّ في أبيه ولا في مصرعه، ولكنّه لما رآه يموت على الكفر، أحزنه ذلك، وقد كان يرجو له الإسلام فدعا له الرسول ﷺ بخير وقال له خيرا. وبعدها قُتل يوم اليمامة شهيداً ⁽³⁹⁾.

قال منير غضبان: "لقد ربّى رسول الله ﷺ أبا حذيفة حين أبرز له خطأه عن طريق عمر ودفعه إلى الندم عليه، وتابعه في أشد لحظات انفعاله حيث برز أثر التربية فيه، خلال الغزوة نفسها، وانتقل من هيئة من كان يريد قتل عمّ محمّد ﷺ بسيفه إلى هيئة من يرى مصرع أبيه وعمه وأخيه فلا يغضبه بل يحزنه

موتهم على الكفر، وهي نقلة هائلة ولاشك، لا يمكن أن تتم إلا في مصنع العقيدة وعند مربيهـا عليه الصلاة والسلام⁽⁴⁰⁾.

الفرع الثاني: التعريض بالخطأ بتوجيه الخطاب للعامة

لقد كان من حكمة الرسول ﷺ عدم مواجهة الناس بالعتاب سترًا عليهم ورفقًا بهم، وتلطّفًا، فكثيرا ما كان ﷺ يستغل منبر المسجد؛ فيأمر بالأذان - في غير وقت صلاة وفي غير جمعة- لجمع الناس على أمر مهم، أو للتنبيه على خطأ أو أي مخالفة؛ ليضمن بذلك الجمع وصول الكلمة إلى كلّ الأذهان. ومن جهة أخرى نجد النبي ﷺ يقوم بتصليح الأخطاء بالتعريض فيما يذمّ دون التصريح أحيانا، فهذا مظنة الانتفاع أكثر، فلا يقع في نفس الشخص المراد توجيهه شيء أو حرج، ولا يتعرّض لِقَدْح من بعض الناس، بل يجعل الخطاب عامًا لكلّ من وقع في الخطأ.

ولقد رأى النبي ﷺ ذات يوم رجلا يغتسل بالبراز (بلا إزار) فعن يعلى بن أمية، أنّه ﷺ صعد المنبر فخطب وقال: «إنّ الله عزّ وجلّ حلّيم حييّ ستير يحبّ الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليستتر»⁽⁴¹⁾، هكذا تلميحًا دون ذكر الرجل أو إمساكه والإنكار عليه.

وعن عائشة رضي الله عنها أنّ بريرة رضي الله عنها أرادت أن تعتق امرأة مع إبقاء الولاء لها، فلمّا أخبرت النبي ﷺ قال لها: «ابتاعها فأعتقها، فإن الولاء لمن أعتق» ثم قام رسول الله ﷺ على المنبر فقال: «ما بال أقوام يشترطون شروطا، ليس في كتاب الله من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله، فليس له، وإن اشترط مائة مرة... وهكذا كان عليه الصلاة والسلام يجمع الناس لخطابهم كلّما اقتضت الضرورة لتنبيه الناس وإرشادهم...»⁽⁴²⁾.

وسمع النبي ﷺ ذات مرّة خطاً من ثلاثة نفر، فأراد تنبيه كلّ الناس-دون ذكر أسماء هؤلاء النفر- على ذلك الخطأ الذي قد يغالي فيه من أراد الزيادة في العبادة؛ فعن أنس، أنّ نفرا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السرّ؟ فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه، فقال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكنّي أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس منّي»⁽⁴³⁾.

وجاء عن عمر رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ أمر بجلد رجل في الشّراب، فقال بعضهم: اللهمّ العنه، ما أكثر ما يؤتى به؟ فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت أنّه يحبّ الله ورسوله»⁽⁴⁴⁾.

وعن أبي هريرة، قال: أتى النبي ﷺ بسكران، فأمر بضربه، فلما انصرف قال رجل: ما له أخزاه الله، فقال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا عون الشيطان على أخيك»⁽⁴⁵⁾. فوجّه النبي ﷺ الخطاب للجميع مع أنّ اللاعن هو شخص واحد فقط.

فيتبين من ذلك أنّ النبي ﷺ وجد من الضّروري إلقاء خطاب لكلّ الناس إعلامًا لهم بوسطية الإسلام؛ خوفا من الوقوع في بدع فردية؛ قد يقع فيها أفراد من الناس فيشدّدون على أنفسهم ويقعون في الحرج بسبب رهبانية التزموا بها لا حاجة لهم فيها.

الفرع الثالث: التولّي عن المخالف وترك جداله ليتراجع عن رأيه

كان النبي ﷺ يعذر الجاهل، ويسكت عن خطئه أحيانا خوفاً من أن يأتي بما هو أكبر من ذلك الخطأ، فكان ﷺ يقدّر الظروف ويميّز بين الأشخاص، ويعاملهم معاملة واقعية صادرة عن معرفة بطبيعة النفس البشرية المتأثرة بعوارض الجهل والهوى، ومن الأمثلة:

قصة الأعرابي الذي رفض البشرى: روى أبو موسى: أتى النبي ﷺ أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟⁽⁴⁶⁾، فقال له: «أبشر» فقال: قد أكثرت عليّ من أبشر!!⁽⁴⁷⁾، فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضب، فقال: «ردّ البشرى، فاقبلا أنتما» فقبلا، ثم أعطاهما قدحاً فيه ماء وضوءه ليشربا منه، فأخذوا القدح ففعلا، وأفضلا لطائفة من الصحابة⁽⁴⁸⁾.

قال القرطبي: "وقول الأعرابي: أكثرت عليّ من أبشر، قولٌ جلفٍ جاهلٍ بحال النبي ﷺ، وبقدر البشرى التي بشره بها لو قبلها، لكنّها غرّضت عليه، فحرمها، وقضيت لغيره، فقبلها"⁽⁴⁹⁾.
موقف آخر: قصة الأعرابي الجاهل الذي تجاهل فضل المرض والبلاء:

في الصحيح عن ابن عباس: أنّ النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده، فقال له ﷺ: «لا بأس، طهور إن شاء الله» قال: طهور؟ كلا، بل هي حمى تقور، أو تتور، على شيخ كبير، تزيده القبور، فقال النبي ﷺ: «فَنَعَمْ (50) إِذَا»⁽⁵¹⁾.

ورغم جهل الأعرابي بفضائل المرض، وردّه بذلك الكلام لقول النبي ﷺ وتهوينه عليه مرضه بتذكيره ثوابه عليه، إلا أنّه ﷺ لم يزد على أن قال (فنعَمْ إذا)، وفسّر البعض أنّ المراد: إن أبيت فهي كما تقول⁽⁵²⁾، ولكن للحديث معنى أحسن منه، وبعداً يُظهر لنا شفقة النبي ﷺ بهذا الأعرابي والحرص على عدم مروقه من الإسلام، وهو كون النبي ﷺ لم يبادر في ذكر فوائد أو فضائل المصائب والأمراض، ربّما كان الأعرابي على فراش الموت -وذكر أنّه توفي بعد ذلك⁽⁵³⁾ فخشي عليه النبي ﷺ أن يسخط أقدار الله ويتلفظ بسوء الظن أو بكلام يُسيء خاتمته، فلذلك تظاهر النبي ﷺ باستحسان كلامه تسليّة له⁽⁵⁴⁾.

الفرع الرابع: التلميح بخطورة درجة المنهي عنه

وهذه طريقة حكيمة لإقناع الناس بخطأ متداول كثيراً على الألسنة كان قد نهى عنه، فيقوم بالإنكار عليه وبيان خطورة التلقّف به دون ذكر أحد، لئلا يعود إلى مثل ذلك ومنه:
عن عمران بن حصين، أنّهم كانوا مع رسول الله ﷺ في سفر، فضجرت ناقة لامرأة من الأنصار فلَعَنَتْهَا، فقال الرسول ﷺ: «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ» فتركها الناس ما يعرض لها أحد⁽⁵⁵⁾.
وعن أبي ברزة أنّ جارية لعنت ناقة، فقال النبي ﷺ: «لَا تُصَاحِبُنَا نَاقَةً عَلَيْهَا لَعْنَةٌ»⁽⁵⁶⁾، وإنّما قال النبي ﷺ هذا زجراً لها ولغيرها وكان قد سبق نهيها ونهي غيرها عن اللعن فعوقبت بإرسال الناقة، والمراد بالنهاي عن مصاحبتها أي أخذ ما عليه من متاع ثم إرسالها⁽⁵⁷⁾.

المطلب الثاني: التعلّم والوعظ بالتصريح والبيان

يعتبر الحوار والمناقشة في معالجة الأخطاء غير لمقصودة والآراء المخالفة وسيلة هامة للإقناع والردّ إلى الصواب، وفي رياض السيرة النبوية العطرة نجد نماذج كثيرة.

الفرع الأول: ضرب المثل لإقناع المخطئ بخطئه:

لقد انتهج الرسول ﷺ مع بعض المخالفين لأوامره أسلوباً رفيعاً في تقويم أخطائهم، وللمثال نذكر قصة ذلك الشاب من قريش حين جاء وقال: يا رسول الله ائذن لي في الزنا؟ فأقبل عليه القوم فزجروه، فقربه النبي ﷺ إليه ودخل معه في حوار منطقي راقٍ، حيث قال له ﷺ: «أدنه»، فدنا منه وجلس، فحاوره النبي ﷺ حواراً منطقيّاً، قال: «أتحبّه لأمّك؟» قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم»، قال: «أفتحبّه لابنتك؟» قال: لا وما زال النبي يستفهم والشاب يجيب: لا والله جعلني الله فداك، فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه»، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء⁽⁵⁸⁾.

فهذا شاب عارم الشهوة، صريح في التعبير عن نزواته دون حياء، فلقبه الرسول ﷺ بهذا الرفق الحسن والحوار الهادئ، فقام مقتنعاً بخطئه عازماً على تركه وعدم الالتفات إليه.

وقد بلغ رسول الله ﷺ في صناعة البيان أمداً قصياً، قال أحد المعاصرين: "ولا يكفي في الدعوة أن يكون في يد القائم بها حجة، أو موعظة يليقها في أي صورة شاء؛ ذلك أن المخاطبين يختلفون ذوقاً، وثقافة، واختلاف زمن وبيئة، ومن اللائق أن تصاغ دعوة كل طائفة في أدب يليق بأذواقها وثقافتها؛ ذلك أن الموعظة ثقيلة على السمع، مستحرجة على النفس؛ لا اعتراضها الشهوة، ومضادتها للهوى" (59).

الفرع الثاني: رد المخطئ إلى الشرع وتذكيره

لقد وقع في المدينة النبوية محاولة بعض اليهود في إشعال نار الفتنة بين الصحابة والتفرقة بين الصفات الموحد، وكان مدبر المكيدة شيخ يهودي طاعن في السن واسمه شاس بن قيس، وقد عُرف بكفره وحسده وعداوته للإسلام، حيث أمر شاباً من اليهود بالجلوس مع المسلمين والذين يتشكّل جمعهم من الأوس والخزرج، وأخذ يبتش الماضي والآثار القديمة، ويُذكرهم بالحروب القديمة التي وقعت بينهم، كما أنشدهم بعض ما كانوا يقولوه فيه من الأشعار، حتّى وقع ما يريده الشيطان؛ فتنازع الفريقان وتقاولا في حدة وغضب وتواعدا في مكان ما على المواجهة بالسلاح، وكادت أن تكون مهلكة كبيرة بينهما.

ولما وصل الخبر رسول ﷺ ذهب إليهم مسرعاً، فلما وصل وعظّم وذكّرهم برابطة الإسلام ونهاهم عن دعوى الفرقة والقومية، ومما قال النبي ﷺ: «... أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به، وقطع عنكم الجاهلية واستنفذكم بها من الكفر، وألف بين قلوبكم؟»، فعرف القوم أنّها نزغة من الشيطان، فبكوا وتعانقوا، ثم انصرفوا مع النبي ﷺ سامعين مطيعين، قد أحبط الله عنهم مساعي اليهود بتفرقة ما جمعه النبي ﷺ في مدينته المنورة (60).

والملاحظ في هذه الموعظة النبوية العالية الشأن والبلغة؛ أنّ النبي ﷺ أنكر عليهم، وزجرهم بسبب نزاعهم وانجذاب كلّ منهم لعشيرته، وقد كانوا أقرب إلى الاقتتال فيما بينهم، ولكنّه بالمقابل رحمهم ورفق بهم، لعلمه بوقوعهم ضحايا تحريش يهودي حسود على المسلمين، فخطب فيهم ﷺ ثم انصرفوا معه، وقد انتصر الحق على الباطل في النهاية.

الفرع الثالث: تعظيم شناعة الخطأ ليتوب المخطئ

إنّ عدم تنبيه المخالف عن عواقب السلوك السيء يعني إقراره على خطئه، وقد كان الرسول ﷺ يسارع إلى تقويم الخطأ الذي يعود بالضّرر على صاحبه بالمسارعة في نهيه، ومثاله ما جاء عن عائشة رضي الله عنها حيث قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا، - تعني قصيرة -، فقال ﷺ: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته» (61). وهذا التمثيل من النبي ﷺ أبلغ ما يكون في البيان في خطورة ما يصف المرء به أخاه.

الفرع الرابع: إزالة المنكر باللسان واليد إذا علم أنّ ذلك لا ينقّر صاحبه

تحتاج بعض المخالفات إلى تفعيل اليد زيادة على القول باللسان، خاصة إذا ضمن المرء عدم نفور صاحب الفعل، وللمثال نذكر:

عن ابن عباس أنّ الرسول ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل، فنزعه فطرحه، وقال: «يَعْمُدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ»، فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله، لا أخذه أبداً وقد طرّحه رسول الله ﷺ (62).

وقد أثمر إنكار النبي ﷺ بتلك الطريقة؛ حيث تورّع هذا الصحابي عن أخذ الخاتم والانتفاع به في شيء مباح، وإن كان النهي عن لبسه فقط، لكنّه أبى بعد ما طرّحه رسول الله ﷺ، كلّ ذلك بفضل أسلوبه ﷺ البديع والحكيم في الإنكار على هذا المنهي عنه.

وعن أبي ثعلبة الخشني، أنّ النبي ﷺ رأى في يده خاتما من ذهب، فجعل يقرعه بقضيب معه، فلمّا ألقاه، قال له النبي ﷺ: «ما أرانا إلا قد أوجعناك وأغرمناك» (63).

لقد كان إنكار الرسول ﷺ على لبس الذهب للرجال بتلك الطريقة يوحي بعدم رضاه، ليستبين للمخالف درجة هذا المنكر حتى لا يعود إليه، قال النووي: "فيه المبالغة في امتثال أمر الرسول ﷺ واجتناب نهيه وعدم الترخّص فيه بالتأويلات الضعيفة" اهـ (64).

بينما قد يشتدّ إنكار الرسول ﷺ إذا ارتكب أحدهم نفس الخطأ في ظروف أخرى؛ فيخوّفه بعقاب الله تعالى له، كما في حديث أبي مسعود البصري (65) أنّه كان يضرب غلاما له بالسوط، فسمع صوتا من خلفه: «اعلم، أبا مسعود»، فلم يفهمه من شدّة الغضب، فلما دنا منه إذا هو رسول الله ﷺ يقول: «اعلم، أبا مسعود مرّتين»، فألقى السوط من يده، فقال: «اعلم، أبا مسعود، أنّ الله أقدر عليك منك على هذا الغلام»، فعاهده أن لا يضرب مملوكا بعده أبدا، وفي رواية أخرى أعتقه، فقال النبي ﷺ: «أما لو لم تفعل للفتك النار» (66).

المطلب الثالث: الرفق واللين في النصّح وتبيين المخالفة

كان الرسول ﷺ يحفظ مكانة المخطئ القريب صاحب الفضل ويبيدي الاحترام له، ويكتفي بنصحه باللين والرفق، وإذا كان حديث عهد بالإسلام رفق به، وتلطّف معه في محاورته، وهذه الآداب العالية يجب التحلّي بها في الدعوة إلى الله اقتداءً بالحبیب ﷺ.

الفرع الأول: رفق النبي ﷺ بالأعراب وضعاف الإيمان خشية نفورهم

كان رجل حديث عهد بجاهلية اسمه معاوية بن الحكم السلمي، وكان يصليّ مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجل من القوم، فقال له يرحمك الله فانتهره الناس وجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، لكي يسكت، وبعد الصلوة كلّمه النبي ﷺ برفق وعلمه، ثمّ أخبرهم أنّه ما رأى أحسن معلّما من رسول الله ﷺ، ما ضربه ولا شتمه، بل قال: «إنّ هذه الصلوة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنّما هو التّسبيح والتّكبير وقراءة القرآن» (67).

الفرع الثاني: التّأني مع الأبعدين في خصومتهم مع الأقربين وعدم العجلة في الحكم

في الخصومات؛ كان النبي ﷺ يتّصف بالتّعقّل وعدم التسرّع، حيث كان يجمع الطرفين لسمع منهما، ولم يكن لتأخذه حميّة صداقته لصاحبه، بل يدعوهم لسمع منهم، ويتنبّث من الفعل، ولا يحابي أحدا حتّى على يهودي، وهذا من تمام عدله ﷺ.

وللمثال؛ جاء يهودي إلى النبي ﷺ يشكوه رجلا من الأنصار ضربه في وجهه، فاستدعاه النبي ﷺ وسأله: «أضربته؟» وفي رواية «لم لطمت وجهه؟» فأخبره الرجل أنّه سمع اليهودي يفضّل موسى على البشر، فقال ﷺ: «لا تفضّلوا بين أنبياء الله..» (68).

الفرع الثالث: التّأني لاستكشاف سبب الفعل

دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوما أحد مدرّاس (69) اليهود، فوجدهم يدرسون التوراة بطريقتهم؛ بتحريفها وتزويرها، بل وتعدّي يهودي اسمه فنحاص على ذات الله عزّ وجلّ، وقال فيه كلاما مؤسّفا، فلم يجد أبو بكر ما يردّ به عليه إلّا ضربا شديدا في وجهه، وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا

وبيّنكم لضربت رأسك، أي عدو الله، وكان تصرف أبي بكر على غير ما اتفق عليه المسلمون، إذ كان المسلمون مأمورين بالعفو والصفح وعدم الإيذاء، قال تعالى: ﴿وَلَنَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: 186]، فكان النبي ﷺ يتأول العفو عنهم حتى أذن الله فيهم بقتالهم.

فلما اشتكى اليهودي إلى الرسول ﷺ استدعى النبي ﷺ أبا بكر وسأله: «ما حملك على ما صنعت؟»، فذكر له أبو بكر ما وقع، وأن ذلك كان بسبب غضبه لله تعالى، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ...﴾ [آل عمران: 181] ⁽⁷⁰⁾. فكان موقف الرسول ﷺ هو التعقل وعدم التسرع، حيث دعا أبا بكر الصديق لسمع منه، حتى يستكشف عن سبب الفعل وهذا من تمام عدله ﷺ.

المبحث الثالث: أسلوب الشدة والزجر

إنّ التّعنيف والعتاب أسلوب بليغ وخطاب جميل، يدلّ على المحبة والهمة العالية في إصلاح من يحبّ ورجاء الخير له، ومن جهة ثانية هو وسيلة هادفة ووجيهة للإشعار بدرجة الذنب والمخالفة، وترك المخطئ يقتنع بالصواب، غير أنّ الإكثار من عتاب الغير قد يأتي بنتائج عكسية، حيث يتحوّل إلى توبيخ مُخرج تكرهه النفوس وتأبى سماعه، غير أنّ أساليب الرسول ﷺ العتابية كانت حكيمة، مرغبة ومقنعة، ومتنوّعة حسب الأشخاص، لا تخرج عن حدود الأدب، وليس فيها شيء من القسوة المنفّرة، فهي أساليب تدلّ على محبة المربّي وعنايته، مما تجعل المدعو يندم ويسلم، ويسارع إلى تصحيح خطئه دون وجود أيّ إحراج في صدره، ومن ذلك نذكر هذا التقسيم مدعماً بالأمثلة فنذكر ما يلي:

المطلب الأول: الشدة في العقوبة من غير تعنيف لسانی ولا جسدي

قد يكون الهجر والإعراض أسلوباً تأديبياً يحتاج إليه المربّي لإظهار عدم رضاه على المخالف دون توبيخ بالكلام، أو تأديب باليد، وهو أبلغ لإشعار المخطئ بدرجة مخالفته.

الفرع الأوّل: إنزال العقوبة بهجر المخطئ المخالف

إنّ الإعراض عن المخطئ لتأديبه، هو تعبير عن مخالفته للصواب، أما أسلوب الهجر فهو أشدّ وأبلغ على نفس المخطئ، وأدعى للاعتراف بخطئه والرجوع إلى الصواب.

لقد هجر النبي ﷺ بعض المتخلفين عن غزوة تبوك، حيث ذهب المسلمون في السنة التاسعة للهجرة لقتال الروم، إلا ثلاثة من الصحابة تخلّفوا عن الغزوة وتناقلوا في الخروج مع النبي ﷺ بسبب ضعف إيمانهم، وهم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، وبقوا في المدينة المنورة.

وسبب تخلفهم أنّ مرارة بن الربيع كان له بستان، وقد أثمر في وقت الخروج للغزوة، فتردّد في الذهاب مع المسلمين، ففاته الوقت، أما هلال بن أمية؛ فقد اجتمع مع أهله بعد فراقهم مدّة من الزّمن، فأحب أن يبقى معهم وتردّد في الخروج، وأما كعب بن مالك، فكان كلّما أراد أن يتجهّز للغزوة تردّد، وبقي على هذا الحال فترة من الزمن حتى فاته الغزو مع جيش المسلمين.

وعندما عاد النبي ﷺ إلى المدينة المنورة جاء إليه المتخلفون من الأعراب والمنافقين، وكانوا نحو الثمانين رجلاً، واعتذروا بسبب عدم خروجهم معه إلى تبوك، فقبل عذرهم.

وأتى هؤلاء الثلاثة إلى النبي ﷺ، وكلمه كعب بن مالك كلاماً صادقاً بسبب تخلفه، فلم يقبل النبي ﷺ عذرهم، وأمر جميع المسلمين بهجرهم، فلا أحد يكلمهم أو يتعامل معهم، ولا حتّى يسلم عليهم، فجلسوا في

بيوتهم يبكون إلا كعب بن مالك فقد كان يخالط المسلمين ويذهب إلى السوق وإلى المسجد، وكان كلما سلم على النبي ﷺ أعرض عنه، حتى ضاقت عليهم الأرض، ثم أمر هؤلاء الثلاثة باعتزال نسائهم. وبقوا على هذا الحال خمسين ليلة؛ إلى أن أنزل الله تعالى توبة هؤلاء الثلاثة، قال: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا...﴾ [التوبة: 118]، وفرح النبي ﷺ بتوبة الله تعالى عليهم، فقاموا بالتسليم على النبي ﷺ وصحابته⁽⁷¹⁾.

لقد استلزم الموقف من النبي ﷺ المرئي لصحابته إنزال هذا النوع من العقوبة، ولكنها عقوبة المحب المشفق، لا المنتقم المتشفي، والنبي ﷺ سلك أخصر الطرق وأقومها وأليقها، ولذلك كان هجره لهؤلاء المخطئين تربية لهم، وردعاً وعبرة لتقادي ارتكاب مثل هذه الأخطاء. وحين استكمل الدرس التربوي دوره البالغ؛ أنزل الله توبتهم ليتوبوا إلى الله وترجع أحوالهم كما كانت من قبل⁽⁷²⁾.

الفرع الثاني: إثارة الناس على المخالف المتعدي للغير

لقد فرق الرسول ﷺ بين المخطئ في حق نفسه، وبين المخالف المتعدي إلى غيره، فتعامل مع هذا الأخير بأسلوب يتناسب مع صناعته، حيث أشار على صاحب الشكوى بالتشهير به، ليكون أبلغ في زجره وردعه، فيعود ويتراجع عما ارتكبه في حق غيره.

عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره، فقال: «أذهب فاصبر» فأثاه مرتين أو ثلاثاً، فقال: «أذهب فاطرح متاعك في الطريق» فطرح متاعه في الطريق، فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره، فجعل الناس يلعنونه: فعل الله به، وفعل، وفعل، فجاء إليه جاره فقال له: ارجع لا ترى مني شيئاً تكرهه⁽⁷³⁾.

ويعتبر هذا الأسلوب النبوي علاجاً يتناسب تماماً مع من لم يخشى الله في حق جاره، وإنما يخاف من رأي الناس وانتقادهم له، حيث حرّك مشاعره، ونقله إلى الندم والاعتراف بالخطأ.

الفرع الثالث: غضب النبي ﷺ من غير مواجهة المخالف بالتعنيف

ورد موقف لأسامة بن زيد جب رسول الله ﷺ وابن حبه؛ لما شدد النبي ﷺ في معاتبته حينما حاول أن يشفع في حد من حدود الله عز وجل، فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن امرأة من خزامة سرق، فشفعت لها قريش والتمسوا من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فلم يجدوا إلا أسامة بن زيد، فكلّمه أسامة، "في رواية: فتلّون وجه رسول الله ﷺ" فقال ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله؟»، ثم قام خطيباً، وقال: «إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»⁽⁷⁴⁾.

فبعد الغضب الذي تلّون فيه وجهه الحبيب ﷺ، بادر مباشرة إلى مخاطبة الناس، ولم يخص المخطئ بالعتاب، كما دلّ هذا الموقف كذلك على عدله ﷺ، وأن حدود الله وشرائعه فوق الأشخاص، فالنبي ﷺ لا يحابي أحداً في إصلاح الأخطاء ولا يجامله حتى لو كان أحب الناس إليه.

المطلب الثاني: الشدة في العقوبة بالتعنيف اللساني

يعتبر تغيير المنكر باللسان؛ وسيلة للتعليم والمناصحة، وطريقة للوقاية من المنكرات، وعلاج ما وقع منها، ووسيلة للتخويف من سوء العقبى في الدارين لمن ارتكبتها، وقد لاحظنا تنوع أساليب الرسول ﷺ إزاء ذلك، وللمثال نذكر ما يلي:

الفرع الأول: التعنيف اللساني على المخطئ في الخطأ البين

كان الرسول ﷺ حريصاً على تعليم أصحابه خطر التكلف والفتوى بغير علم، وقد ورد أنه شنع على صاحب هذه المخالفة بتعنيف لساني، وللمثال:

عن جابر رضي الله عنه أنهم كانوا في سفر، فشج رجل في رأسه، ثم احتلم فسأل أصحابه عن رخصة في التيمم؟ فأوجبوا عليه الغسل بالماء، فاغتسل فمات، فلما سمع النبي ﷺ بذلك فقال: «قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا... قال: إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصب على جرحه خرقه، ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده»⁽⁷⁵⁾. والملاحظ؛ كيف عاتب النبي ﷺ المبادر للفتوى بغير علم ولا وجه حق بقوله: «قتلوه قتلهم الله».

وفي موقف آخر بين لنا الرسول ﷺ أن الشدة في التعنيف تعد وسيلة هامة للإثارة وتركيز الانتباه، حيث جعل إيرادها على سبيل التخويف من أثر الذنب عند الله تعالى، وسنضرب مثالا في ذلك: عن أسامة بن زيد أنهم كانوا في سرية، فهزموا المشركين، ثم لحق برجل، فلما أدركه قال الرجل: لا إله إلا الله، فطعنه أسامة برمح حتى قتله، فلما أخبر النبي ﷺ عاتبه بشدة وقال: «أقال لا إله إلا الله وقتلته؟» قال له أسامة: "... إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: «أفلا شققت عن قلبه...؟» فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ"، وفي رواية أخرى عند البخاري: "حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم"⁽⁷⁶⁾.

ولم يلزم النبي ﷺ أسامة بدية ولا غيرها، إلا أنه قد لامه وشنع عليه خطأه، وبالغ في وعظه، حتى تمنى رضي الله عنه أنه لم يكن تقدم إسلامه قبلها حتى يعذره النبي ﷺ ويأمن جريرة ما فعل، وليس معناه أنه تمنى أن لا يكون مسلماً، وإنما حصل ذلك في نفسه من شدة إنكار النبي ﷺ وتعظيمه لما وقع. فاستصغر أسامة ما سبق له قبل ذلك من عمل صالح في مقابلة هذه الفعلة، وهو حب رسول الله ﷺ لما سمع من الإنكار الشديد والمبالغة في عتابه⁽⁷⁷⁾.

الفرع الثاني: الدعاء على بعض المخالفين المعاندين

كان الرسول ﷺ ألطف الناس، وكان يعتمد على الرفق في المعاملة، وسيرته مع الخلق حتى مع المخالف الكافر تدل على ذلك، إلا أن المربي العظيم ﷺ اضطر - أحياناً - إلى الدعاء على المخالف المتعمد، وهو أمامه بحضرته وعلى مسمع منه، ربما بسبب غلظة وجفاء نفسية المدعو، الذي رأى الرسول أن عتابه وزجره بالدعاء عليه أبلغ لحاله، وحفظاً للمصلحة.

ومن ذلك عن إياس بن سلمة بن الأكوع: أن أباه حدثه: «أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قال: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، ما منعه إلا الكبر. قال: فما رفعها إلى فيه. وعند أحمد قال: فما رجعت إليه⁽⁷⁸⁾.

وموقف آخر؛ عن بريدة الأسلمي قال: جاء أعرابي فأدخل رأسه من باب المسجد فقال: "من دعا للبعير الأحمر؟ (أي: ينشد ضالة جملا له أحمر)، فقال النبي ﷺ: «لا وجدت»، عند أحمد: «لا وجدته، لا وجدته لا وجدته» [إنما بنيت المساجد لما بنيت له]⁽⁷⁹⁾. والملاحظ أن الدعاء عليهما لم يكن بما يعين عليهما الشيطان، ولكن كان بما يشبه التعزير.

الفرع الثالث: الإنكار والتبرؤ من تجاوزات البعض

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في السنة الثامنة من الهجرة إلى بني جذيمة؛ داعياً إلى الإسلام لا مقاتلاً، فخرج في ثلاثمائة وخمسين رجلاً، ولما وصل إليهم دعاهم إلى الإسلام؛ ولكنهم لم يحسنوا أن

يقولوا: أسلمنا، بل قالوا: "صبأنا صبأنا" (80) فدفع خالد إلى كل رجل ممن كان معه أسيرا، وأمر بقتلهم، فأبى ابن عمر وأصحابه حتى قدموا على النبي ﷺ، فذكروا له، فرفع ﷺ يديه وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»- مرتين- (81).

قال الحافظ ابن حجر: "الحكمة في تبرئه ﷺ من فعل خالد مع كونه لم يعاقبه على ذلك لكونه مجتهدا أن يعرف أنه لم يأت له في ذلك خشية أن يعتقد أحد أنه كان بإذنه ولينزجر غير خالد بعد ذلك عن مثل فعله" (82).

الفرع الرابع: الغضب مع المواجهة بالتعنيف

عن عمران بن حصين، أن رجلا أعتق ستة مملوكين له عند موته، ولم يكن له مال غيرهم، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فغضب من ذلك وقال: «لقد هممت أن لا أصلي عليه»، وفي رواية أخرى لفظ: وقال له أو فيه قولا شديداً، ثم دعا مملوكيه فجزأهم ثلاثة أجزاء، ثم أقرع بينهم، فأعتق اثنين وأرق أربعة (83). قال القرطبي: "وقال له قولا شديداً) أي غلظ له بالقول والذم والوعيد لأنه أخرج كل ماله عن الورثة ومنعهم حقوقهم منه" (84).

قال النووي: "وهذا محمول على أن النبي ﷺ وحده كان يترك الصلاة عليه تغليظاً وزجراً لغيره على مثل فعله وأما أصل الصلاة عليه فلا بد من وجودها من بعض الصحابة" (85). وقصة أخرى؛ عن جابر بن سمرة، قال: مرض رجل فصيح عليه فجاء جاره إلى رسول الله ﷺ، يخبره بموته فقال ﷺ: «إنه لم يمّت»، ثم رجع في المرة الثانية ليخبره بموته، فقال له نفس الكلام، ثم في المرة الثالثة انطلق إليه الرجل فرآه قد نحر نفسه بمشقص معه، فذهب ليخبر النبي ﷺ، فقال: «إذا لا أصلي عليه» (86).

قال الخطابي: "ترك النبي ﷺ الصلاة عليه معناه العقوبة له والردع لغيره عن مثل فعله" (87).

قال البيهقي: "إنما قال ذلك ليحذر الناس بترك الصلاة عليه فلا يرتكبوا كما ارتكب" (88).

الفرع الخامس: الشدة في تأنيب من كانت له منزلة عنده

وفيه حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه؛ حيث كان بينه وبين رجل كلام، وكانت أمه أعجمية، قال أبو ذر: "فعيرته بأمه، فذكر الرجل ذلك إلى النبي ﷺ، فقال لأبي ذر: «أسأبت فلانا» قال: "نعم"، قال: «أفيلت من أمه؟» قال: "نعم"، قال النبي ﷺ: «إنك امرؤ فيك جاهلية!» (89). فأبو ذر رضي الله عنه ليس بجاهلي بل هو من فضلاء الصحابة؛ لكن تعديده في الخصام ليتجاوز إلى التعبير بالوالدة، وما لها من ذنب إليه، جعل النبي ﷺ يعاتبه بهذه الشدة.

قال ابن بطال: "قوله: (إنك امرؤ فيك جاهلية): يريد إنك في تعبيره بأمه على خلق من أخلاق الجاهلية، لأنهم كانوا يتفاخرون بالأنساب، فجهلت وعصيت الله في ذلك، ولم تستحق بهذا أن تكون كأهل الجاهلية في كفرهم بالله تعالى" (90).

وهكذا كانت أساليب النبي ﷺ متنوعة حسب الأشخاص والظروف والله أعلم.

المطلب الثالث: الشدة في العقوبة باليد

قد يجد المرابي المعالج لأخطاء الغير نفسه مضطراً إلى إنزال العقاب على من لم تنفعه النصائح التربوية، أين يلجأ إلى التأديب الجسدي وإيقاع الضرب بسبب مخالفة كبيرة، أو عصيان متعمد، وليس العقاب بدافع الانتقام أو لإطفاء نار الغضب يعطي النتيجة، وإنما بدافع الإصلاح، ولأخذ العبرة.

الفرع الأول: إنزال العقاب وبيان خطورة الخطأ

بعدما دبر المنافقون في غزوة بني المصطلق، في السنة السادسة من الهجرة مكيدة الإفك، حيث افتروا المنافقون على السيِّدة عائشة رضي الله عنها، عندما رافقت الرسول ﷺ في خروجه إلى الغزوة، وفي العودة سقط عقدُها وذهبت لتبحث عنه فوجدته، لكنَّها عندما عادت وجدت أن المسلمين قد ارتحلوا، فاضطجعت وعرفت أنهم إذا فقدوها رجعوا إليها، ثم جاء صَفْوَانُ بْنُ مُعَطَّلٍ وحملها على البعير ولم يتكلم معها بكلمة واحدة، وعندما دخلوا المدينة ورأهم الناس تكلم المنافقون واتَّهموها بفعل الفاحشة، وكان على رأسهم عبد الله بن أبيّ فهو الذي تولَّى كِبَرَ الإفك وبدأ بالكلام فيه ونشره وأذاعه وشيَّعه. ولم ينزل الوحي لمدة شهر لحكمة إلى أن برأ الله عائشة رضي الله عنها وأنزل في خبرها آيات من سورة النور⁽⁹¹⁾. والشاهد من القصة أنه لما انتشر الزور وتناقله المنافقون الذين يحبون شيعة الفاحشة في الأبرياء، أثر ذلك في نفوس بعض المسلمين فانزلقوا معهم، وصاروا يتكلمون ويرددون دون وعي وإدراك لما يقصده أبيّ المنافق من وراء ذلك.

فلما علم النَّاسُ ببراءة عائشة رضي الله عنها، وانتهت المحنة على بيت النبي ﷺ، جاء دور المعاقبة على مذيعي الخبر الكاذب، فكانت النتيجة أنه أنزل العقاب على نفر من خيرة المسلمين كانوا ضحية لمأرب وخطط عبد الله بن أبي بن سلول حيث حرص على عدم الظهور، ونجا وبقي في أمان من كلِّ ملاحقة وعقاب مع أنه المحرَّك الأساسي لها، كما لم يلاحق النبي ﷺ من كان له دور من المنافقين، لأنهم فعلوا ذلك سرًّا، وإنما أمر ﷺ بمن صرَّح بالإفك؛ فأمسك مسطَّحُ بْنُ أَثَّاثَةَ، وحسانَ بن ثابت، وحمَّنة بنت جَحْشٍ - رضي الله عنهم - فحدُّوا ثمانين ثمانين، وهؤلاء من المؤمنين الصَّادقين تطهيراً لهم وتكفيراً..⁽⁹²⁾

الفرع الثاني: الوعد بإنزال العقاب للمخالف

لقد عزم الرسول ﷺ على تأديب رجل أراد الاطلاع على إحدى حجراته ﷺ، فلما انتبه له أخذ مشقصاً وجعل يسير إليه ويستغفله من أجل أن يصل إليه حتى يطعنه به في عينه، تأديباً له بسبب هذه المخالفة الواضحة بمحاولة انتهاك حرمة الرسول ﷺ. عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا أَطَّلَعَ مِنْ حُجْرٍ فِي بَعْضِ حُجَرِ النَّبِيِّ ﷺ «فَقَامَ إِلَيْهِ بِمَشْقَصٍ، أَوْ بِمَشَاقِصٍ، وَجَعَلَ يَخْتِلُهُ لِيَطْعَنَهُ»⁽⁹³⁾، وفي رواية أنه كان رجلاً أعرابياً، حيث أتى باب الرسول ﷺ، فألقم عينه خصاصة الباب، فبصر به النبي ﷺ فتوخاه بحديدة أو عود، ليفقأ عينه، فلما أن بَصَرَ انْقَمَعَ⁽⁹⁴⁾، فقال له النبي ﷺ: «أما إنَّكَ لو ثَبِتَ لَفَقَاتَ عَيْنَكَ»⁽⁹⁵⁾. وفي رواية سهل بن سعد، قوله ﷺ: «لو أعلم أنك تنتظر، لطعنت به في عينك»⁽⁹⁶⁾.

الخاتمة:

لقد علَّمتنا الرحمة المهداة حبيبنا النبي ﷺ فن تصويب الخطأ، ومهارة تقويم العوج، وقد بلغ ﷺ في هذا مبلغ الحكمة التامة، فهو طبيب النفوس، ومعلِّم البشريَّة، وقد كان علاجه نافعا مؤثرا، غير منفرِّ يملأ قلب المنصوح حبًّا له، وهذه بعض ما استخلصناه من أساليب النبي ﷺ في تقويم الأخطاء والمخالفات:

- الحرص على تصحيح الأخطاء، والاهتمام بتقويم السلوك.
- المخالف للسنة النبوية معرَّض للعقوبة في الدنيا.
- المسارعة إلى التنبيه على المخالفة وعدم تأخير البيان عن وقت الحاجة؛ حتَّى لا يؤدِّي السكوت عن المنكر إلى الإقرار به ومن ثمَّ الصعوبة في تصحيحه لاحقاً.
- التركيز على الأخطاء وبيان درجة نهيها، وتجنُّب تعيين المذنبين والمخطئين.

- تأديب المخالف للهدى النبوي ليس عملاً انتقامياً، ما دام الهدف منه هو الإصلاح وتقويم السلوك.
- هجر المخالف للأوامر النبوية يحرك شعوره ويؤدي به إلى الندم والاعتبار وعدم ارتكاب الخطأ.
- التفريق بين الخطأ الناتج عن اجتهد صاحبه، وبين الخطأ العمد.
- إدراك الطبيعة التي نشأ عنها الخطأ، والحذر من إصلاح خطأ بخطأ أكبر منه.
- التفريق بين من وقع منه الخطأ مراراً وبين من وقع فيه لأول مرة.
- إنزال الناس منازلهم ومراعاة من دينه رقيق ويحتاج إلى تأليف قلب فلا يغلظ عليه.
- تقويم سلوك البعض يكون أبلغ بإظهار الغضب من بعض التصرفات، وعتاب البعض بالشدة.

التوصيات:

- 1- الاهتمام بدراسة السيرة النبوية، واستقراء الجوانب الأخلاقية في تقويم سلوك الغير، والعمل على إعداد بحوث تخدم احتياجات العصر.
 - 2- إرشاد المربين إلى عدم إهمال جانب التربية وتعديل السلوك، وضرورة الاعتناء بعلم الأخلاق في زمن الماديات الذي نعيشه.
 - 3- مراعاة أحوال الناس وفهم نفسية المخالف المتعمد والمخطئ، والتخلي بالحكمة في تقويم سلوك الغير.
- والحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع:

1. الآداب، أبو بكر البيهقي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.
2. أدب الموعظة، محمد بن إبراهيم الحمد، الناشر: مؤسسة الحرمين الخيرية، ط1، 1424هـ.
3. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م.
4. أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير، دار الكتب العلمية، ط1، 1994م.
5. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
6. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين المقرئ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999.
7. تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار التراث، بيروت، ط2، 1387هـ.
8. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
9. التعريفات علي بن محمد الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1983م.
10. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، محمد ناصر الدين الألباني، دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ط1، 2003م.
11. تفسر الطبري المسمن جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.
12. تفسير القرآن العظيم إسماعيل بن كثير، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ.
13. تهذيب اللغة، لأبي منصور الهروي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.
14. جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي تحقيق الأرئوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 2001م.
15. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م.
16. حاشية السندي على سنن ابن ماجه، محمد نور الدين السندي دار الجيل، بيروت.
17. دلائل النبوة، لأبي بكر البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1405هـ.
18. الدين المعاملة، منقذ بن محمود السقار، رابطة العالم الإسلامي، 2009م.
19. ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (شرح سنن النسائي)، محمد الإتيوبي الولوي، دار المعراج الدولية، ط1، 1996م.

20. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1412هـ.
21. زاد المعاد في هدي خير العباد، شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط 27، 1994م.
22. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، محمد الشامي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1، 1993م.
23. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 1995م.
24. سنن ابن ماجه، محمد ابن ماجة القزويني، دار إحياء الكتب العربية.
25. سنن أبي داود، أبو داود السجستاني المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
26. سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1975م.
27. السنن الصغرى، أحمد بن شعيب النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1986م.
28. السنن الكبرى، أبو بكر البيهقي محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، 2003 م.
29. سنن سعيد بن منصور، الدار السلفية، الهند، 1982م.
30. السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط 2، 1955م.
31. شرح النووي على صحيح مسلم، محيي الدين النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2، 1392هـ.
32. شرح رياض الصالحين، الشيخ الطيب أحمد حطية.
33. شرح صحيح البخاري، لابن بطل، أبو الحسن علي بن خلف، دار النشر: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط 2، 2003م.
34. شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، ط 1، 2003م.
35. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، دار العلم للملايين، ط 4، 1987م.
36. صحيح ابن حبان، محمد، تعليق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1988م.
37. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ط 1، 1422هـ.
38. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
39. الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.
40. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
41. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد ابن سيد الناس، دار القلم، بيروت، ط 1، 1993م.
42. فتح الباري شرح صحيح البخاري، بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
43. فقه السيرة النبوية، منير محمد الغضبان جامعة أم القرى، ط 2، 1992م.
44. فقه السيرة، محمد الغزالي السقا، دار القلم، دمشق، ط 1، 1427هـ.
45. كيف عاملهم، محمد صالح المنجد، مجموعة زاد للنشر، 1436هـ، 2015م.
46. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414 هـ.
47. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيتمي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994م.
48. المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده المرسى، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2000م.
49. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1417هـ- 1996م.
50. المستدرك على الصحيحين، محمد أبو عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1990م.
51. مسند أبي داود الطيالسي، دار هجر، مصر، 1999م.
52. مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، 2001 م.

53. مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وصيري عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1988م.
54. مصنف ابن أبي شيبة أبو بكر بن أبي شيبة مكتبة الرشد، ط1، 1409هـ.
55. المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام المكتبة الإسلامية، بيروت، 1403هـ.
56. معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المطبعة العلمية، حلب، ط1، 1932م.
57. المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
58. معجم البلدان، شهاب الدين ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.
59. معجم الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله بن مهران العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1412هـ.
60. المعجم الكبير، لأبي القاسم الطبراني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، 1994م.
61. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتاب، ط1، 1429 هـ - 2008 م.
62. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، الناشر: دار الفضيحة.
63. المغازي محمد بن عمر الواقدي، دار الأعلمي، بيروت، ط3، 1989م.
64. المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم، أبو العباس أحمد القرطبي، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1996م.
65. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين عبد الرحمن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992م.
66. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ - 1979م.
67. نيل الأوطار، محمد بن عبد الله الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبايطي، دار الحديث، مصر، ط1، 1993م.

الهوامش:

- (1) مسند البزار رقم 8949، السنن الكبرى للبيهقي رقم 20782، حكم الألباني بصحته انظر السلسلة الصحيحة 1/112 رقم 45. وفي رواية لأحمد في مسنده بلفظ(صالح) ذكره برقم 8952، قال الهيثمي في مجمع الزوائد 15/9 رجاله رجال الصحيح.
- (2) المخصص لابن سيده المرسى، 3/309.
- (3) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، 2/1089.
- (4) تهذيب اللغة، 1/239، مختار الصحاح، ص216.
- (5) انظر: لسان العرب، 1/275.
- (6) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، ص455.
- (7) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، 2/1290.
- (8) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، 1/684.
- (9) المخصص لابن سيده المرسى، 3/372.
- (10) صحيح البخاري، كتاب الجهاد باب فضل من شهد بدرا رقم 3983، الطبعة الأولى، 1422هـ.
- (11) فقه السيرة لمحمد الغزالي بتصرف 376.
- (12) العرج: هي عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج. انظر: معجم البلدان، 4/99.
- (13) (الزمالة) بكسر الزاي أي: المَرْكُوبُ وَمَا كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَدَوَاتِ السَّفَرِ. انظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه، رقم 219/2.
- (14) سنن أبي داود، كتاب المناسك باب المحرم يؤدب غلامه، رقم 1818، وهو حسن كما حكم الألباني ورواه أحمد في المسند، رقم 26916، ابن خزيمة في صحيحه صحيح، رقم 2679، الحاكم في المستدرک على الصحيحين، رقم 1667،

- وقال: هذا حديث غريب صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه! ووافقه الذهبي! في التلخيص، ينظر المستدرك مع تلخيص الذهبي 623/1.
- (15) انظر: تفسير ابن كثير، ط/العلمية 407/1 عند الآية 197 من سورة البقرة.
- (16) أخرجه البخاري في الصحيح عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه، كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم 2731.
- (17) ينظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي باب مرجع النبي من غزوة الأحزاب، رقم 4119، مسلم، كتاب الجهاد باب المبادرة إلى الغزو، رقم 1770/69، صحيح ابن حبان، رقم 4719، وانظر: نيل الأوطار، 385/3.
- (18) رواه البخاري، كتاب النكاح باب الغيرة، رقم 5225.
- (19) ينظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي باب غزوة الطائف، رقم 4337، والرواية الأخرى برقم 4330.
- (20) صحيح البخاري، كتاب الزكاة باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ رقم 1478، صحيح مسلم كتاب الزكاة باب إعطاء من يخاف على إيمانه رقم 1059.
- (21) برد نجراني أي رداء منسوب إلى نجران بلد في اليمن، انظر: عمدة القاري للعيني، 312/21.
- (22) جذب ويقال كذلك جذب بمعنى شدّه (صفحة) جانب وناحية عاتقه و(عائق) هو ما بين المنكب والعنق، المرجع نفسه، 312/21.
- (23) صحيح البخاري، كتاب اللباس، رقم 5809، ومسلم، رقم 1057/128.
- (24) انظر: شرح رياض الصالحين، الشيخ الطبيب أحمد حطّيبة، 15/50 بتصرف يسير.
- (25) عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، 151/22.
- (26) القصة اختصرت منها، انظر: المعجم الكبير للطبراني، 203/4، رقم 4146، إمتاع الأسماع للمقريزي، 256/2، المنتظم لابن الجوزي، 171/5، وذكره الهيتمي في مجمع الفوائد، رقم 16105 وحكم بصحته.
- (27) ماعز بن مالك الأسلمي، اسمه غريب ولقبه ماعز، انظر الاستيعاب، 1345/3، رقم 2246، الإصابة 521/5، رقم 7603.
- (28) ينظر: صحيح مسلم، كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنى، رقم 1695/22.
- (29) ينظر: فتح الباري بتصرف يسير، 134/12.
- (30) نقل عنه ابن حجر في فتح الباري، 125/12، الولّوي في شرح سنن النسائي المسمى "نخبة العقبي في شرح المجتبى"، 232/19.
- (31) مسند أحمد، رقم 3977، مصنف ابن أبي شيبة، رقم 204، حسنه الأرئوط في تعليقه على المسند، 84/7، والألباني كذلك في السلسلة الصحيحة، 181/4 برقم 1638.
- (32) صحيح مسلم، كتاب الفضائل باب تحريم سب الصحابة، رقم 2541/222، ورواه البخاري دون ذكر ما وقع بينها، 3673.
- (33) المسند، رقم 13400.
- (34) فتح الباري لابن حجر، 34/7.
- (35) أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري رضي الله عنه، اسمه رفاعه وقيل بشير بن عبد المنذر، أحد النقباء، شهد أحد وما بعدها من غزوات، عاش إلى خلافة علي رضي الله عنه. ينظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب، رقم 3148، أسد الغابة، رقم 6205.
- (36) سيرة ابن هشام، 237/2، دلائل النبوة للبيهقي، 270/5 وغيرهما.
- (37) من فضلاء الصحابة أسلم قبل دخول الرسول بيت الأرقم، شهد كل الغزوات وتوفي يوم اليمامة شهيدا، الاستيعاب، 1631/4.
- (38) أبو البختري هو ابن هشام بن الحارث بن أسد، وأمّه من بني هاشم، وكان من المشركين المعتدلين الذين نادوا بنقض صحيفة المقاطعة، وكان يدافع عن النبي ولم يكن من الذين أدّوه في مكة، ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، 630/1، سير الذهبي، 303/1.
- (39) السيرة النبوية لابن هشام، 640/1.

- (40) فقه السيرة النبوية، ص 707.
- (41) ينظر: سنن النسائي، رقم 406، وهو صحيح بحكم الألباني في صحيح سنن النسائي، ص 135، الأداب للبيهقي، رقم 574.
- (42) صحيح البخاري، كتاب الصلاة باب ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد، رقم 456، صحيح مسلم، رقم 1504/8.
- (43) صحيح البخاري، كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح، رقم 5063، صحيح مسلم، كتاب النكاح، رقم 1401، واللفظ له.
- (44) صحيح البخاري، كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر، 6780. اللعن هنا لعن المعين، وليس لعن المطلق كما في الحديث: لعن رسول الله في الخمر عشرة وعاصرها وشاربها... الترمذي 1295.
- (45) صحيح البخاري، كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر، وأنه ليس بخارج من الملة، رقم 6781.
- (46) يقصد غنائم حنين التي أمر النبي ﷺ أن تجمع إلى حين رجوعه مع العسكر من الطائف، ويحتمل أن الوعد كان خاصا به أو لكل الناس، فاستبطئ الغنيمة حدثاء العهد بالإسلام وطلبوا قسمتها، فلما رجع قسم الغنائم حينئذ بالجعرانة، فتح الباري، 46/8.
- (47) قوله أبشر من البشرى وهو خبر يسر، لكن لم يذكر عين ما بشره به، فعلى العموم هو أمر من خير الدنيا والآخرة.
- (48) صحيح البخاري، كتاب المغازي باب غزوة الطائف، رقم 4328، صحيح مسلم، في فضائل الصحابة رقم 2497.
- (49) انظر: "المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم"، رقم 448/6.
- (50) [فنعم] بكسر النون وسكون العين أو فتحهما.
- (51) صحيح البخاري، كتاب المناقب باب علامات النبوة، رقم 3616، وفي كتاب المرضى باب عيادة الأعراب، رقم 5656.
- (52) عمدة القاري، شرح صحيح البخاري للعيني، 149/16، فتح الباري، شرح صحيح البخاري لابن حجر، 119/10 وغيرهم.
- (53) روى الطبراني في الدعاء هذا الحديث برقم 2024، وذكر: أن الأعرابي أصبح ميتا، وانظر: فتح الباري، 119/10.
- (54) ينظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطل باختصار وتصرف، 382/9.
- (55) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، رقم 2595.
- (56) صحيح مسلم، في النهي عن لعن الدواب، رقم 2596.
- (57) شرح النووي على صحيح مسلم، 147/16 بتصرف.
- (58) أخرجه أحمد في المسند، رقم 22211، عن أبي أمانة ؓ، قال الشيخ الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، انظر: التعليق 36/545.
- (59) أدب الموعظة، محمد بن إبراهيم الحمد، ص 63.
- (60) انظر: القصة عند ابن هشام، 555/1، تفسير الطبري، 55/6 رقم 7524، عيون الأثر، 247/1 وغيرها.
- (61) سنن أبي داود، كتاب الأدب باب الغيبة، رقم 4875، الترمذي رقم 2502، وحكم الألباني بصحته في صحيح الجامع، 5140.
- (62) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة باب طرح خاتم الذهب، رقم 2090.
- (63) سنن النسائي، كتاب الزينة، رقم 5190، صحيح ابن حبان، رقم 15، وحكم الألباني بصحته في التعليقات الحسان عن صحيح ابن حبان، 347/1 برقم 303، ورواه أحمد في المسند، 17749 وصحح الأرنؤوط إسناده، انظر: التعليق على المسند، 283/29.
- (64) شرح صحيح مسلم، 66/14.
- (65) أبو مسعود الأنصاري، من بني الحارث بن الخزرج، مشهور بالبدي لأنه سكن ماء بدر ولم يشهد غزوة بدر وشهد كل الغزوات، توفي في صفين. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر، 1074/3 رقم 1827، أسد الغابة لابن الأثير، 280/6 رقم 6249.
- (66) صحيح مسلم، كتاب الأيمان باب صحة الممالك وكفارة من لطم عبده، رقم 1659، والرواية الثانية برقم 1659.
- (67) رواه مسلم، كتاب المساجد باب الكلام في الصلاة، رقم 537، ورواه غيره..

- (68) الرواية الأولى للبخاري في صحيحه، كتاب الخصومات، رقم 2412، والثانية لصحيح مسلم، كتاب الفضائل، رقم 2373.
- (69) المذّراس هو البيت الذي يقرأ فيه اليهود فيها ويتدارسونها بينهم.
- (70) تفسير ابن جرير الطبري، 442/7، وانظر: أسباب نزول القرآن للواحدي، رقم 133، السيرة النبوية لابن هشام، 558/1.
- (71) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي باب حديث كعب بن مالك، رقم 4418، ومسلم، كتاب التوبة، رقم 2769.
- (72) انظر: الدين المعاملة، منقذ بن محمود السقار، ص 87 بتصرف يسير.
- (73) رواه أبو داود، كتاب النوم باب حق الجوار، رقم 5153، والحاكم في مستدركه، كتاب البر والصلة، رقم 7307، وصححه ووافقه الذهبي، وحكم الألباني بصحته في صحيح أبي داود، ص 264.
- (74) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم 3475، والثانية في المغازي، رقم 4304، ورواه مسلم، رقم 1688.
- (75) سنن أبي داود، كتاب الطهارة باب في المجروح يتيمم، رقم 336، قال الألباني: حسن. ينظر: صحيح سنن أبي داود، ص 101.
- (76) صحيح للبخاري في صحيحه، كتاب المغازي، رقم 4269، صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله رقم 96 واللفظ له.
- (77) فتح الباري، لابن حجر 196/12 بتصرف يسير.
- (78) صحيح مسلم، كتاب الأشربة باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم 2021، مسند أحمد، رقم 16493. الرجل اسمه ابن راعي الغير الأشجعي، كما في شرح النووي على مسلم، 192/13، واستدل القاضي عياض في "شرح مسلم" على أنه كان منافقا، قال ابن حجر في الإصابة 423/1، أن النووي تمسك بأن ابن منده وأبا نعيم وابن ماكولا وغيرهم ذكروه في الصحابة!! قال: وفيه نظر.. فلاحتمال قائم؟! ويمكن الجمع بأنه لم يكن في تلك الحالة أسلم، ثم أسلم بعدها. اهـ.
- (79) رواه مسلم، كتاب الصلاة باب النعي عن نشد الضالة في المسجد، رقم 569، بدون لفظ أعراي، والرواية الثانية عند أحمد، 23044.
- (80) (صبأنا) خرجنا من دين إلى دين وقصدوا الدخول في الإسلام ولكن خالدا ظن أنهم لم ينقادوا. انظر: فتح الباري، 57/8.
- (81) صحيح البخاري، كتاب المغازي باب بعث خالد، رقم 4339، وكتاب الأحكام، باب إذا قضى الحاكم بجور، رقم 7189.
- (82) عزاه للخطابي ولم أجده. انظر: فتح الباري لابن حجر، 182/13، عمدة القاري للعيني، 262/24.
- (83) سنن النسائي، كتاب الجنائز باب الصلاة على من يحيف في وصيته، رقم 1958، أحمد رقم 19866 وحكم الأرئوط في التعليق بصحته، 101/33. والرواية الأخرى لمسلم، رقم 1668، وأبو داود في سننه، رقم 3958 وغيرهما.
- (84) تفسير القرطبي، 272/2، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم للهرري، 294/18.
- (85) شرح مسلم، 140/11.
- (86) سنن أبي داود، كتاب الجنائز باب الإمام لا يصلي على من قتل نفسه، رقم 3185، مسند أحمد، رقم 20861، حكم الألباني بصحته في صحيح سنن أبي داود، ص 249، ورواه مسلم، برقم 978، والترمذي في سننه، برقم 1068 مختصراً.
- (87) معالم السنن، رقم 309.
- (88) السنن الكبرى، 29/4. واختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم يصلى على كل مسلم، وقال أحمد لا يصلى الإمام على قاتل النفس ويصلى عليه غير الإمام. انظر: سنن الترمذي، 372/3.
- (89) صحيح البخاري، كتاب الأدب باب ما ينهى عن السباب واللعن عن المعرور ابن السويد، رقم 6050، وما بين المعكوفتين رواية أخرى له في كتاب الإيمان، رقم 30، وروي أنه عير بلالاً بأمه حيث قال: "يا ابن السوداء"، شعب الإيمان للبيهقي، رقم 4772، وانظر: عمدة القاري شرح البخاري للعيني، 208/1.
- (90) شرح صحيح البخاري، 85/1.

(91) انظر: قصة الإفك في البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، رقم 4141، وكتاب التفسير، سورة النور، ومسلم كتاب التوبة، باب حديث الإفك، رقم 2770، ومن السير انظر: سيرة ابن هشام، 289/2، دلائل النبوة للبيهقي، 66/4.

(92) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، 230/3، بتصرف.

(93) رواه البخاري في الديات، باب من أخذ حقه أو اقتص دون السلطان، رقم 6900.

(94) أي ردّ بصره ورجع، النهاية لابن الأثير، 109/4.

(95) سنن النسائي في القسامة 4858، مشكل الآثار 937، المعجم الكبير 731، السنن الكبرى للبيهقي 17654، ويشهد له ما بعده.

(96) رواه البخاري في صحيحه الاستئذان، باب: الاستئذان من أجل البصر، رقم 6241.